**«غزة: كيف وصلنا إلى هنا؟»، البروفيسور غادي ألغازي، جامعة تل أبيب، 27.7.2025**

**المقدمة**

مرحبًا بالجميع، وأهلًا بكم في «عيون على غزة». ندخل اليوم الأسبوع السادس من لقاءاتنا اليومية، وهو منتدى يجمع بين الاحتجاج والتعلّم. يبدو أن المظاهرات المتزايدة ضد التجويع الواسع وغير الإنساني في غزة بدأت تُحدث أثرًا، حتى لو كان قليلًا ومتأخرًا. كثير منا قضى عطلة نهاية الأسبوع في مسيرات واحتجاجات مختلفة، واليوم أُطلق إضراب رمزي عن الطعام لثلاثة أيام من قبل «لجنة المتابعة العليا للمواطنين العرب في إسرائيل»، مع اعتصام في يافا يشارك فيه كثير منا أيضًا بطريقة أو بأخرى. أود أيضًا أن أُشيد بالمساهمة المتواضعة لكنها مهمة لكل واحد منا هنا—رفع النقاش، تضخيم أصواتنا، وإطلاق نداء واضح لا لبس فيه لوقف الذبح والقتل ومحو غزة.

اليوم نستضيف البروفيسور غادي ألغازي، مؤرخ من جامعة تل أبيب، ناشط سياسي قديم ومفكر عام بارز. طلبنا منه أن يساعدنا في مواجهة ما لا يُتصوَّر، وأن نحاول أن نفهم كيف وصلنا إلى هذه اللحظة. سيتحدث غادي لمدة ثماني دقائق، وبعدها سنترك وقتًا لمناقشة قصيرة. وكما دائمًا، أذكّر الجميع أنه إذا رغبتم في طرح سؤال، يُرجى كتابته في الدردشة، وسأقرأه بصوت عالٍ في نهاية حديثه. غادي، شكرًا جزيلًا لانضمامك إلينا. الكلمة لك.

**المحاضرة**

شكرًا لكم. تحياتي للجميع. سأحاول ألّا أتحدث طويلًا—هناك قواعد. لكن دعوني أبدأ بالإشارة إلى أن السؤال ذاته الذي طُلب مني أن أتناوله—كيف وصلنا إلى هنا؟—يحمل شيئًا من اليأس، بل حتى الطابع التليولوجي. إنه يطلب منا أن نشرح الطريق، لكنه لا يطلب أن نقترح كيف نخرج منه. ومع ذلك، من الجدير النظر فيه، وسأحاول أن ألخص حجتي ببساطة قدر الإمكان. الحقيقة هي هذه: مع غزة، هناك حرب منذ 1948. خمس وسبعون سنة من الحرب. أحيانًا منخفضة الحدة، أحيانًا مع وقف إطلاق نار، أحيانًا مع أسوار، أحيانًا مع قصف. لكن غزة هي التجسيد الأشد قسوة وصدمة للصراع—لما نحن فيه، وللمأساة الفلسطينية. لماذا؟ لأن غزة كما نعرفها—المصطلح ذاته «القطاع»، تلك الكلمة العبثية—هو خلق مباشر لعام 1948. منذ تلك اللحظة، داخل فلسطين التاريخية—سمّها أرض إسرائيل، سمّها فلسطين، لا يهم—نشأ أكبر مخيم للاجئين في أراضيها. أكبر من جنين، أكبر من أي تجمع آخر للاجئين الفلسطينيين. نحو ثلثي سكان غزة كانوا لاجئين من النصف الجنوبي من البلاد، إلى جانب ثلث من السكان الأصليين. غزة هي 1948—1948 تحدّق في وجوهنا. وما يتكشف أمام أعيننا اليوم هو محاولة لمحوها، لمحو 1948—ليس بمواجهة النكبة، بل بتكثيفها.

لا شك أن ما نراه الآن هو في كثير من النواحي أخطر من أي شيء سبق. حجم الدمار لا ي annihilates المستقبل فقط—يجعل ظهوره شبه مستحيل—بل يقلّص الماضي إلى مجرد هامش. ما أهمية أنه في 1956 كانت هناك مجزرتان في غزة؟ ما أهمية أن جنود أريئيل شارون جابوا الشوارع بالسياط، يضربون الناس ويحاصرونهم بأسلاك شائكة؟ لكن بالطبع، هذه ليست طريقة مفيدة للنظر. الطريق الذي أوصلنا إلى هنا هو بالضبط ما يجب أن نواجهه إذا أردنا أن نتخيّل مخرجًا.

منذ 1948، إسرائيل تصارعت مع سؤال: ماذا نفعل مع هذه الجرح المفتوح. خيار واحد كان غزو غزة والسيطرة عليها عسكريًا. لكن ذلك يتطلب من إسرائيل إدارة حياة مئات الآلاف من اللاجئين بلا صوت—شيء لم ترد إسرائيل يومًا أن تفعله. خيار ثانٍ كان بناء سجن: حبس غزة، إغلاقها بوسائل مختلفة. وقد جُرّب ذلك في السبعينيات. خيار ثالث، مغرٍ، كان جعل الناس يختفون.

وهنا كانت هناك محاولات بعيدة المدى وعبثية أيضًا. خطط لتوزيع أموال، لإرسال الناس إلى الأرجنتين، بل تساؤلات عمّا إذا كان يمكن قبول العمال الفلسطينيين كـ «غاست أربايتَر» (عمّال ضيوف) في ألمانيا في الستينيات. لكن كانت هناك أيضًا إجراءات أقسى بكثير: محاولات لطرد عشرات الآلاف. في الواقع، طُرد ما لا يقل عن 50,000 خلال وبعد حزيران 1967. بعد الحرب، وجدت إسرائيل نفسها تحكم غزة، وسرعان ما واجهت حرب عصابات شرسة قادتها مجموعات مقاومة كلاسيكية متجذرة في المخيمات. حرب وحشية، استهدفت أيضًا مدنيين—لكنها حرب مختلفة عن أي شيء في الضفة. لأن في غزة، الناس تذكروا احتلال 1956. لم تكن لديهم أوهام. ولأن المقاومة هناك كانت لها قاعدة اجتماعية عميقة في المخيمات. استغرق الأمر من إسرائيل أربع سنوات من الحملات العسكرية القاسية لقمعها—كان هذا عمل أريئيل شارون، وانتهى في 1972.

ثم بدأ الأمر من جديد: أفكار جديدة حول كيفية «التخلص» من سكان غزة، 80,000. 100,000. 120,000. أحاديث عن 150,000. كل تلك المحاولات فشلت. تحوّلت إسرائيل بين مقاربتين: التطبيع—السماح لعمّال غزة بالعمل في إسرائيل، «الاندماج» كما سُمّي، حيث بنى أبناء وأحفاد لاجئي 1948 تل أبيب حرفيًا. أو، بديلًا، إغلاق غزة. فعل شارون ذلك بتطويقها بالسياج، بخلق جيب رفح، وبإقامة مدينة ياميت—التي كان من المفترض أن تُشكّل سلسلة جنوبية إلى جانب «غلاف غزة» الذي بُني بعد 1950. خيار آخر كان ترك غزة تتعفّن. ترك الناس يغرقون في بؤس القطاع. خطط «غزة أولًا» بدأت في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وأدّت في النهاية إلى إنشاء السلطة الفلسطينية—ترتيب انهار بالطبع.

هذه هي القصة، في جوهرها. لم تكن هناك خيارات كثيرة، لأن التفكير كان دائمًا في كيفية التخلّص من اللاجئين، أو في أحسن الأحوال، كيفية إدارة بؤسهم. سواء سُمّي «غزة أولًا»، «الحكم الذاتي»، «السلطة الفلسطينية»، أو في النهاية حكم حماس، كانت النتيجة حتمية: انفجار. سلسلة من الانفجارات. لن أسرد كل عملية عسكرية، لكن كل واحدة كانت تجديدًا للحرب—وفي كل منها، كان المدنيون هم الضحايا. حيث نحن الآن هو نتيجة خمسة وسبعين عامًا، وخاصة العقدين الأخيرين، حيث كثّفت إسرائيل حربها على غزة: بالتجويع، بـ «عدّ السعرات»، بتقييد عدد الأقلام التي يمكن للأطفال استخدامها، بالتحكم المطلق بالماء والتسميم البطيء

لمصادر العيش، وبالهجمات العسكرية المتكررة. النتيجة كانت تَوحُّشًا—لنا ولضحايا غزة. توحّشًا تعمّق من عملية إلى أخرى، حتى اللحظة الحالية.

وعندما ننظر إلى ما يحدث الآن، من المهم أن نتذكر: حتى أولئك الذين يهتفون، الذين لا يمكنهم أن يتخيّلوا شيئًا سوى محو غزة—الإسرائيليون أنفسهم—هم أيضًا نتاج هذه العملية، تمامًا كما الغزاويون. ما فعلته هذه الحروب التي لا تنتهي—هذه «جزّ العشب»—هو تطبيع القتل الوحشي للنساء والأطفال، في 2009، في 2010، في 2014، وفي السنوات بينهما، حتى الحرب الحالية. إذا أخذنا مسافة، يجب أن نرى هذه الحلقات التي لا تُحصى كجزء من حرب واحدة طويلة بلا نهاية. السؤال الأساسي إذًا ليس فقط كيف نوقف النار الآن، ليس فقط كيف نوقف المجزرة بأي وسيلة ممكنة. السؤال الأعمق هو: كيف يمكننا أن نبني مستقبلًا مختلفًا؟

برأيي، مثل هذا المستقبل لا يمكن أن يُبنى إلا على الاعتراف: الاعتراف بعمق هذه الحرب الطويلة، الاعتراف بـ 1948، الاعتراف بحقوق اللاجئين. الاعتراف بأنه ما لم نتخيّل مستقبلًا إنسانيًا قائمًا على أبسط حقوق الآخرين، لا يمكننا أن نتوقع من الفلسطينيين أن يعترفوا بحقوقنا كإسرائيليين، كيهود. لا، ليس على الجميع أن يبقوا في غزة. يمكن الاعتراف بحق عودتهم. أعلم أن هذا يبدو اليوم مستحيلًا، لا يُصدّق. لكن مع ذلك، علينا أن نحاول أن نتخيّل ما يمكن أن يكون المستقبل—غير حرب تستمر، تنفجر مجددًا بعد كل هدنة، أو تتصاعد إلى كارثة كالتي نعيشها الآن.